الفصل الرابع

الثقافة المغربية: انفتاح وتفاعل

أ.د. عبد الجواد السقاط(*)

لعل الحديث عن الثقافة عموما في هذا العصر الذي نعيشه، ضرب من المغامرة التي يكتنفها غير قليل من الغموض والالتباس، ولون من الاقتحام الذي لا يخلو من تحد ومغالبة؛ ذلك أن أقلاما كثيرة سالت وما تزال حول تحديد ماهية الثقافة، ونظريات عديدةً طُرحت منذ عهود قديمة حتى عصرنا هذا لبلورة مفهوم هذه الثقافة، وحصر تجلياتها ومقوماتها. فمن ذاهب إلى أنها "السلوك المكتسب"، ومتجه إلى أنها "تجريدات مأخوذة من السلوك"، ومؤكد أنها "ذلك العمل المركب الذي يشتملً على المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والًعادات وغيرها من القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في مجتمع"[1]، إلى غير هذا وذاك من التعريفات والتحديدات التي يتلاحق إصدارها جيلا بعد جيل. كما أن لقاءات وندوات عقدت لتدارس هذا المصطلح دلالةً ووظيفةً وتصوراً، مما يجعل مقاربته اليوم، ومن جديد، محفوفة بالخوف من الإعادة والاجترار. زد على ذلك أن ما نعيشه اليوم من تحولات متسارعة، وفي المجال التكنولوجي خاصة، قد خلخل هذا المفهوم، وحاول أن يحصره في مجال ضيق لا يعدو جانب العلوم الدقيقة والتطبيقية، في تهميش مطلق أو شبه مطلق لغيره من الجوانب والميادين.

وليس بجديد أن للثقافة عامة، مجموعةَ خصائصَ حاول بعضهم جمعها في كونها إنسانية ينفرد بها الإنسان دون غيره، اعتبارا لما يتميز به من عقل قادر على الخلق والابتكار، كما أنها مكتسبة يستقيها الإنسان من مجتمعه ومحيطه، وأنها اجتماعية ومتنوعة المضمون، إضافة إلى كونها مجموع أفكار وأعمال، ونسيجا متداخلا يتسم بالتغير والاتصال، وكذا بتعدد المستويات.

وغير خاف كذلك أن تداخل العديد من المفاهيم اليوم، واضطراب الوعي بها لدى

(*) أستاذ دكتور كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ المحمدية ـ المملكة المغربية.

(١) انظر كتاب "الثقافة والشخصية، الشخصية ومحدداتها الثقافية"، ص ٨٠.

الكثيرين، قد ولد شيئا من الخلط في التداول، أفضى إلى ممارسات لا تكاد تستقر على قرار، في زمن يطبعه القلق والحيرة من جهة، ومن جهة أخرى يطبعه السعي نحو المجهول، والتشوف إلى مصير مظلم حالك، تزيده ظلمةً وحلكةً تلكم التخمينات العلمية التي تتنبأ بمستقبل غير مريح لساكنة المعمور.

ولعل هذا التشتت لا يطبع منطقة جغرافية من المعمور دون غيرها، بل إنه يكتسح العالم من كافة أطرافه، دانيها وقاصيها، مشرقها ومغربها، وما إخال هذا الوضع بالنسبة للثقافة العربية والإسلامية إلا حاملا على شيء من التأمل والتبصر لاستحضار الجذور التاريخية لهذه الثقافة، ومحاولة رصد بعض العناصر التي تساهم في إحلالها المكانة التي تستحق، علما بأن هذه الثقافة العربية والإسلامية لا تستلزم منا فقط معرفتها وتحديد معالمها، بل كذلك العمل على إحيائها وتجديدها لمواكبة عجلة التطور الذي يشهده العالم.

ولعله من نافلة القول التذكير بالعناصر التي تعتبر قواسم مشتركة بين أفراد المجتمعات العربية من جنس ودين ولغة، ساهمت في توحيدهم، وأمدتهم بشحنة من القوة والاستعداد لمواجهة الأخطار المحدقة بهم عبر مراحل التاريخ المتلاحقة، كما أمدتهم بألوان ثقافية، وإن تعددت مظاهرها وتجلياتها، فإنها تصب جميعها في مصب واحد هو هذه الثقافة العربية بمفهومها العام.

ولئن كانت هذه الجذور تشكل الركيزة الأساسية التي تقوم عليها الثقافة العربية والإسلامية، فإن ثمة مجموعة من التحديات التي على هذه الثقافة العمل لمناهضتها ومقاومتها، والتي يمكن استعراضها كالتالي:

١. الاهتمام باللغة العربية كلغة تعيش صراعا ضد البقاء، وذلك بفعل الحضور القوي للغات المناهضة لها؛ وهذا الاهتمام لن يبرز إلا عبر إعادة النظر في هذه اللغة لجعلها طيعة تواكب مستجدات التطور، وظيفية تعبر بيسر عن المضامين الحديثة في مجال العلوم المختلفة، وذلك عن طريق إعادة صياغة قواعدها، وإصلاح المناهج التربوية لتلقين هذه القواعد للناشئة.

٢. تنقية الدين الإسلامي من الشوائب التي علقت به، والطفيليات التي يُتَوَهَّمُ أنها منه، خصوصا في فترة أصبحت فيها صورة الإسلام مشوهة، وأصبح الاعتقاد سائدا بأن الإسلام يعني التخلف والإرهاب والتقاعس، وهي صورة على مثقفي الأمة العربية والإسلامية أن يعملوا على تصحيحها وتخليصها من تلكم الشوائب والطفيليات. فمن الخطأ الجسيم الاعتقاد بأن الثقافة العربية والإسلامية والقيم المرتبطة بها هي السبب في

انحطاط العرب وعجزهم عن التكيف مع الألوان الثقافية الجديدة، بل إن هذا الانحطاط إنما هو نتيجة لتخليهم عن هذه الثقافة وتحريفهم لها، ولا سبيل لهم للخروج من تأخرهم هذا إلا بإحيائهم لثقافتهم وتطويرها، وليس بناء على قيم خارجية لا جذور لها في واقعهم وأصولهم[٢].

٣. التعايش مع الثقافات العالمية الأخرى، وخاصة منها الثقافة الغربية التي غزت العالم المعاصر بشكل ملحوظ، وهو تعايش ينبغي أن يحكمه الحذر والحيطة حتى يتوقف ما يتسرب إلينا من هذه الثقافة من "قيم الاستهلاك والبذخ والمجون والسيطرة وبذور التشكيك في القيم بله انحلالها وزوالها"[٣]؛ ولن يتم هذا التعايش، وبهذا النوع من الحيطة والحذر، إلا إذا تعرفنا بعمق على هذه الثقافة الغربية، وحاولنا النفاذ إليها عن طريق إتقان لغاتها والنفاذ إلى تراثها نفاذا يصل إلى حد "الاستغراب" على غرار ظاهرة "الاستشراق" التي مكنت الغربيين من أن ينفذوا إلى الحياة العربية، ويتعرفوا على دقائقها وجزئياتها، ومن ثم أن يستفيدوا من مميزاتها، وينهبوا ممتلكاتها الفكرية والحضارية.

٤. تجديد الثقافة العربية والإسلامية، واسترجاع الثقة فيها، وذلك أن "فقدان الثقة بالثقافة العربية اليوم ـ كما يذهب بعضهم ـ وابتعادَ الناس عنها واستلهامَهم للثقافة السائدة في طلب العلوم وفي السلوك وفي المبادئ الموجِّهة لا صلة له بنقص مفترض في هذه الثقافة، سواء وجد هذا النقص أو لم يوجد"[٤].

وإذا كان الحديث عن الثقافة العربية والإسلامية شاسع الأطراف ممتد الآفاق، فلعلي في هذه المداخلة المحدود وقتها، أن أقصر القول على الثقافة المغربية التي عرفت منذ عهود ممتدة في أعماق التاريخ تلاقح الكثير من الثقافات المتداخلة من فينيقية وعربية وأمازيغية وإسلامية وغربية، وكل هذه الثقافات انصهرت فيما بينها فخلقت الثقافة المغربية التي تميزت بتعدد طقوسها وقابليتها للانفتاح على ثقافات الشعوب الأخرى، من غير أن يمتد هذا الانفتاح إلى حدود طمس الخصوصية المحلية التي يجب الحفاظ عليها وصونها باعتبارها المميز الذي يسم كل مجتمع بسمته الخاصة، ويجعله، داخل دائرة التوحيد، يحظى بعلامات خاصة ومميزة.

(٢) اغتيال العقل، محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، ص ٤٦.
(٣) في سبيل ثقافة عربية ذاتية، الثقافة العربية والتراث، ص ٤٦.
(٤) اغتيال العقل، محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، ص ١٣٠.

وإذا حاولنا أن ننظر إلى هذه الثقافة المغربية وتفاعلها مع الثقافة العربية عموما، وثقافة المشرق العربي بوجه خاص، تبين لنا أن لها روابط تمتح من هذه الثقافة المشرقية، جعلتها تنفتح عليها وتتفاعل معها منذ حقب تاريخية طويلة، الأمر الذي يتجلى في عدد من الواجهات التي يمكن استعراض جزء منها بإيجاز كالتالي:

١. حضور المتن العربي المشرقي في حلقات التدريس بالمغرب، وفق ما تسعفنا به كتب البرامج والفهارس والإجازات التي استعرض فيها أصحابها عناوين المؤلفات العربية المشرقية التي كانت معتمدة في مجال التدريس، وفي شتى صنوف العلم والمعرفة، وكذا أسماء وتراجم الشيوخ المشارقة الذين أخذوا عنهم وتتلمذوا عليهم؛ وفي هذا المضمار نمثل بـ:

= فهرسة محمد بن قاسم التميمي (ت ٦٠٤ هـ) المسماة "النجوم المشرقة في ذكر من أُخذَ عنه من ثبت وثقة"[٥].

= فهرسة الحسن بن مسعود اليوسي (ت ١١٠٢ هـ)، الذي قيل في حقه:

مَنْ فَاتَهُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيّ يَصْحَبُهُ فَلْيَصْحَبِ الْحَسَنَ الْيُوسِيّ يَكْفِيهِ[٦]

= فهرسة محمد بن زاكور الفاسي (ت ١١٢٠ هـ) المسماة "نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان"[٧].

= فهرسة محمد بن الطيب الشركي الفاسي (ت ١١٧٠ هـ) المسماة "إرسال الأسانيد في وصل المصنفات والأجزاء والمسانيد"[٨].

٢. رحلة العديد من المغاربة إلى جهات عربية مشرقية مختلفة، إما طلبا للعلم، أو لأداء مناسك الحج بالديار المقدسة، أو للقيام بمهمات سفارية لدى بعض الجهات الإسلامية، ومنهم من دونوا ذلك في رحلات أفعموها بالعديد من الوقفات الثقافية والحضارية لهذه الجهات، بما تتيحه هذه الرحلات من ظروف الأخذ من هذه الثقافات من منابعها الأصلية والاغتراف من ينابيعها أدبا وفقها وعلوما أخرى مختلفة، ومن ذلك على سبيل المثال:

= رحلة علي بن محمد التمكروتي (ت ١٠٠٣ هـ) المسماة "النفحة المسكية في السفارة

(٥) التكملة لكتاب الصلة، ج ٢، ص ٦٨٣.
(٦) مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع رقم ك ١٤٢٧ من ص ١٢٣ إلى ص ١٨٩.
(٧) نشرت بالمطبعة الملكية بالرباط عام ١٩٦٧.
(٨) مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع رقم ك ١٣٧٤.

التركية" ، والتي ألفها عندما بعثه السلطان أحمد المنصور السعدي إلى ملك الترك بالقسطنطينية العظمى[٩] .

= رحلة أبي سالم العياشي (ت ١٠٩٠ هـ) المسماة "ماء الموائد" ، والتي ألفها أثناء رحلته إلى المشرق والحجاز[١٠] .

= رحلة الحسن بن مسعود اليوسي المتقدم بالمناسبة نفسها[١١] .

= رحلة محمد بن الطيب الشركي الفاسي المتقدم بالمناسبة ذاتها[١٢] .

ولعل من الطريف في هذا الباب أن نذكر أن من بين هؤلاء من دون رحلته شعرا كما فعل الشاعر محمد بن محمد المرابط الدلائي (ت ١٠٩٩ هـ) الذي نظم قصيدة[١٣] استعرض فيها مراحل رحلته من باب الفتح بمدينة فاس إلى المدينة المنورة بالديار المقدسة، مرورا ببلاد الكنانة التي جاء حولها قوله:

وإذا بدا قطر العزيز ومصره ... فابدر مزارة من سما برشاد

حيث الحسين ابن النبي المجتبى ... وحمى الكرام الركع السجاد

وزر الإمام محمدا نجل الرضى ... الصديق فخري المرتجى وسنادي

وزر المشاهد كلها كالشافعي ... ومن بها من ساكني الألحاد

وكذاك أصبغ ثم أشهب والرضى ... ابن القاسم المقصود في الأفراد

أهل المجادة والسعادة والهدى ... وعوارف ومعارف وأياد

وارصد بها فيضان نيل ما له ... شبه بدا في طارف وتلاد

واحضر بها دوران محملها الذي ... قد فاق كل مراوح ومغاد

٣. استقرار ثلة من علماء المغرب بالديار العربية المشرقية عموما إما تتلمذة أو تدريسا؛ ومن هذا القبيل نشير مثلا إلى:

= أحمد بن محمد الشريشي (ت ٦٤١ هـ) الذي استوطن مصر وبها مات، والذي

(٩) نشرت بالأوفسيط بباريز بعناية المستشرق دوكاستري عام ١٩٢٩ .
(١٠) المطبعة الحجرية بفاس عام ١٣١٦ هـ، وقد تم نشرها بعد ذلك بعناية الدكتور محمد حجي .
(١١) مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع رقم ك ١٤١٨ .
(١٢) انظر حولها مقالا لمحمد الفاسي بمجلة "المناهل" ، عدد ٦ .
(١٣) انظرها في ديوانه، ص ١١٦-١٢٥ .

"روى ببغداد عن أبي صالح نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلالي، وأبي الحسن محمد بن أحمد بن عمران القطيعي. . . ، وأخذ أصول الفقه عن أبي الحسن الأبياتي بالإسكندرية"[١٤].

= محمد بن قاسم التميمي المتقدم الذي "رحل إلى المشرق رحلة حافلة أقام فيها خمسة عشر عاما ولقي نحوا من مائة شيخ أكثر من الرواية عنهم واستوسع في السماع منهم وأجاز له بعضهم"[١٥].

= محمد بن أحمد بن مرزوق(ت ق ٧) الذي "رحل إلى المشرق وأكثر من لقاء الشيوخ وسماع الحديث"[١٦].

= أبي محمد صالح بن حرزهم (ت ق ٧) الذي "رحل إلى المشرق وانقطع مدة بالشام فلقي هناك الإمام أبا حامد الغزالي"[١٧].

= علي بن يقظان السبتي (ت ق ٧) الذي "كانت له رحلة إلى مصر وعدن ثم العراق حيث أقام يعمل"[١٨].

= أحمد بن محمد أدفال الدرعي (ت ١٠٢٣ هـ) الذي "لقي مشايخ آخرين بمكة والمدينة ومصر وكلهم أجازوه"[١٩].

= أبي بكر بن مسعود الوردي المغربي المراكشي (ت ١٠٣٢ هـ) الذي "ورد إلى دمشق أولا من مصر في سنة ٩٩٣ هـ ثم رجع إلى مصر وأقام بها إلى سنة ١٠٠٣ هـ ثم قدم إلى دمشق وألقى بها عصا الترحال، ودرس بالمدينة الشرابيشية"[٢٠]، والذي "قرأ بمصر الفقه على شيخ المالكية الشيخ محمد النوفري وعلى الشيخ طه المالكي وغيرهما، وأخذ الأصول عن الشيخ حسن الكتاني، ومعظم قراءاته كانت على أبي النجا السنهوري المحدث الكبير مفتي المالكية في عصره بمصر"[٢١].

(١٤) الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج ٢، ص ١٤٣.
(١٥) الأمير الشاعر أبو الربيع سليمان الموحدي، ص ٧٤.
(١٦) الأمير الشاعر أبو الربيع سليمان الموحدي، ص ٧٤.
(١٧) الأمير الشاعر أبو الربيع سليمان الموحدي، ص ٦٦.
(١٨) الأمير الشاعر أبو الربيع سليمان الموحدي، ص ٨٥.
(١٩) الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج ٢، ص ٢٩٥.
(٢٠) الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج ١، ص ٢١٤.
(٢١) الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج ١، ص ٢١٤.

= أبي بكر يوسف السكتاني المراكشي (ت ١٠٦٣ هـ) الذي "من أشياخه علامة زمانه الشيخ أبو الأمداد اللقابي، والشيخ عبد الرحمن اليمني، والشيخ يوسف الزرقاني، وغيرهم من أهل مصر"[٢٢]، والذي "رحل إلى المشرق ثلاث مرات وجاور بمصر والحجاز سنين عديدة"[٢٣].

= إبراهيم بن محمد السوسي الآيسي (ت ١٠٧٧ هـ) الذي "دخل مصر في سنة خمس وسبعين وألف وأخذ بها عن جماعة"[٢٤].

= العالم الصوفي محمد بن ناصر الدرعي (ت ١٠٨٥ هـ) الذي "حج فدرس بالمشرق وحضر مجالس أكابر علمائه"[٢٥].

= محمد بن سليمان الروداني (ت ١٠٩٤ هـ) الذي درس على الشهاب الخفاجي بمصر[٢٦]، ودرس بدمشق على الشيخين محمد بن حمزة ومحمد ابن بدر الدين الحنبلي[٢٧]، وكان مفتي الحرمين الشريفين[٢٨].

= أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي (ت١١٢٩هـ) الذي "حج مع والده سنة ١٠٧٦هـ. . واجتمع بعلماء مصر والحرمين الشريفين وأخذ عنهم"[٢٩].

= أبي القاسم الزياني (ت ١٢٤٩ هـ) الذي "لقي بمصر الشيخ سليمان الفيومي، والمؤرخ عبد الرحمن الجبرتي"[٣٠].

٤. وفود العديد من علماء البلاد العربية إلى المغرب ومجالستهم لعلمائه، وقيام بعضهم بالمشاركة في حلقات الدرس؛ ويكفي أن نقتصر هنا على مقولة لصاحب "الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين" تؤكد ذلك في فترة معينة من فترات تاريخ المغرب إذ تقول: "ما كادت أنباء قيام دولة عربية مستقلة عن النفوذ التركي في المغرب الأقصى تصل إلى المشرق حتى اشرأبت إليها الأعناق وراح علماء تلك الأقطار يكاتبون الملوك

(٢٢) الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج ١، ص ٢١٥.
(٢٣) الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج ١، ص ٢١٥.
(٢٤) الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج ١، ص ١٨٣.
(٢٥) الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، ص ٨٧.
(٢٦) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان، ج ٢، ص ٣١٧.
(٢٧) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان، ج ٢، ص٤٤٨.
(٢٨) الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، ص ١٠٩.
(٢٩) الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج ٢، ص ٣٥٧.
(٣٠) الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج ١، ٣٩٠.

السعديين ويهدون إليهم مؤلفاتهم وما يقتنون أو يستنسخون من أمهات الكتب وأعلاقها، وكان من نتائج عطايا ملوك المغرب وجوائزهم السنية التي بعثوا بها لقاء تلك الهدايا العلمية، أن قامت جماعة من رجال الفكر المشارقة بشد الرحال إلى مراكش . . . وعرف لهم نشاط في التفسير والحديث والأدب "[٣١].

٥. تداول المؤلفات المغربية بالمشرق، حيث اجتازت مصنفات المغاربة وإبداعاتهم الأدبية حدود المغرب لتصل إلى البلاد المشرقية وتحتل مكانها لدى الأدباء والعلماء الذين يتنافسون في اقتنائها وتناولها بالشرح والنقد والاقتباس؛ وقد نكتفي للنمذجة على ذلك بفقرة نسوقها من كتاب "الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين" حيث يقول المؤلف: "حل أحمد بن محلي[٣٢] بالقاهرة أكثر من مرة، وأقام في رواق المغاربة بالجامع الأزهر أكثر من سنة، دارسا ومناظرا وناسخا الكتب لنفسه وللناس، أعجب شيوخ الأزهر بحدة ذكائه وصلابة عوده وتبحره في علم التصوف، فقرؤوا كتبه وقرظوها، واهتموا بالرسائل التي وجهها إليهم في مواضيع مختلفة من الفقه والتصوف فأجابوا عنها وفصلوا القول فيها "[٣٣].

٦. تصنيف المشارقة كتبا حول الثقافة المغربية، حيث نجد العديد من المؤلفين بالمشرق قد عمدوا في مؤلفاتهم إلى تخصيص حيز غير قليل يترجمون فيه لبعض العلماء المغاربة الذين ذاع صيتهم داخل بلادهم وخارجها؛ ومن هذه المؤلفات نذكر على سبيل المثال:

= خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الإصفهاني (ت ٥٩٧ هـ).

= الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ).

= الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة لنجم الدين الغزي الدمشقي (ت ١٠٦١ هـ).

= ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا للشهاب الخفاجي المصري (ت ١٠٦٩ هـ).

= منتزه العيون والألباب لعبد البر الفيومي المصري (ت ١٠٧١ هـ).

= خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر لمحمد المحبي الدمشقي (ت ١١١١هـ).

(٣١) الحركة الأدبية بالمغرب في عهد السعديين، ج ١، ص ٦٩.
(٣٢) عالم مغربي، توفي عام ١٠٢٢ هـ.
(٣٣) الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج ١، ص ١٨٠.

= سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر لعلي بن معصوم المدني (ت ١١١٩ هـ).

٧. إجازات المغاربة لعلماء المغرب، ومن ذلك:

= إجازة محمد بن ناصر الدين الطبلاوي الشافعي (ت ٩٦٦ هـ) للعالم المغربي سعيد الماغوسي وهو يومئذ بالقاهرة بمناسبة تأليفه المسمى "إيضاح المبهم في لامية العجم"[٣٤].

= إجازة بدر الدين القرافي قاضي قضاة المالكية بمصر (ت ١٠٠٨ هـ) للعالم المغربي محمد بن قاسم القصار[٣٥]؛ وقد أجازه شعرا بقوله:

لقد أبديت حقا لا مجازا ... بما صار الفقيه به مجازا
محمد بن قاسم من بفاس ... وبالقصار قد عرف امتيازا
كذا ولداه كل قد تسمى ... محمد زاد مجدهما نجازا
وكاتبني بإخلاص وصدق ... وقد طلب الإفادة واستجازا
بسلسلة الحديث عن الأعالي ... ذوي فضل ومجد لا يوازى
على وجه سأبديه صريحا ... يكون لما حواه مستجازا
وينفع طالبا ويجيد نفعا ... وعند الله من فضل يجازى
ويدعو لي بقصد ظهر غيب ... بخاتمة تكون لنا مفازا[٣٦]

= إجازة أهل المشرق كابن فهد وأبي عمران موسى النشائي وأبي عبد الله محمد بن إبراهيم المقدسي وأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن العلقمي (من رجال القرن الحادي عشر) لمفتي الحضرة المراكشية أبي محمد عبد الواحد بن أحمد الحسني[٣٧].

٨. تأليف المغاربة كتبا تترجم للوافدين المشارقة على المغرب، ومثال ذلك الكتاب الذي عمت شهرته الآفاق، والمسمى "مطلع الإشراق في نسب الشرفاء الواردين من العراق" لعبد الله بن الطيب القادري (ت ١١١٠ هـ)، والذي سالت أقلام علماء المغرب

(٣٤) انظر روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، ص ٢٣٩.
(٣٥) روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، ص ٣١٦.
(٣٦) روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، ص ٣١٦.
(٣٧) روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، ص٢٨٦.

ونبهائه لتقريظه والثناء عليه من أمثال الطيب بن عبد القادر الفاسي (ت ١١١٣ هـ)، ومحمود بن أحمد القسميطي (ت ١١١٦ هـ)، وأحمد الجرندي (ت ١١٢٥ هـ)، ومحمد المرابط الدلائي (ت ١٠٨٩ هـ)، وأبي عثمان سعيد العميري (ت ١١٣١ هـ)، والحسن بن رحال المعدني (ت ١١٤٠ هـ)، كما أورد ذلك بشيء من التفصيل صاحب "نشر المثاني"[٣٨].

٩. اهتمام المغاربة بمصنفات المشارقة، إما تعليقا أو شرحا أو تحشية أو اختصارا. . . ، ومن نماذج ذلك:

= إظهار صدق المودة في شرح البردة لمحمد بن مرزوق (ت ٧٨١ هـ)[٣٩].

= مطلع الأنوار السنية في بعض معاني الحكم العطائية لأحمد بن أبي القاسم الصومعي التادلي (ت ١٠١٣ هـ)[٤٠].

= شرح أرجوزة السيوطي المسماة "التثبيت في ليلة المبيت" ليوسف بن محمد أبي عسرية الفاسي (ت ١١١٥ هـ)[٤١].

= شرح شواهد ابن هشام لمحمد بن عبد القادر الفاسي (ت ١١١٦ هـ)[٤٢].

= إيضاح المبهم من لامية العجم لسعيد الماغوسي (ت ١٠١٦ هـ)[٤٣].

= إتحاف ذوي الأرب بمقاصد لامية العرب له أيضا[٤٤].

= شرح الحكم لابن عطاء الله لمحمد بن زكري (ت ١١٤٤ هـ)[٤٥].

= شرح ألفية السيوطي في النحو له أيضا[٤٦].

= عنوان النفاسة في شرح ديوان الحماسة لمحمد بن زاكور المتقدم[٤٧].

---

(٣٨) نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج ٣، ص ٩٣ـ١٠٢.
(٣٩) مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم د ١٧١٣.
(٤٠) نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج ١، ص ١١٥.
(٤١) نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج ٣، ١٤٧.
(٤٢) نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج ٣، ص ١٥٢.
(٤٣) انظر روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، ص ٢٢٨.
(٤٤) مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم ج ١٤٢.
(٤٥) نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج ٣، ص٣٣٨.
(٤٦) انظر التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، ص ٣٥٧.
(٤٧) مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم ج ١٥٨.

= شرح لامية العرب له أيضا[٤٨].

١٠. تقييم الفكر المشرقي من لدن بعض علماء المغرب، كما فعل علي ابن ميمون الغماري (ت ٩١٧ هـ) الذي ألف كتابا سماه "بيان غربة الإسلام بواسطة صنفي المتفقهة والمتفقرة من أهل مصر والشام، وما يليها من بلاد الأعجام"، وانتقد فيه "علماء الشام والحجاز والأناضول بعد أن مكث بين أظهرهم نحو عشرين سنة اطلع خلالها على أخلاقهم وعاداتهم ودرجات إدراكهم وتحصيلهم"[٤٩].

١١. محاكاة المغاربة لإنتاج المشارقة في مجال العلم والأدب؛ من ذلك مثلا الحماسة التي وضعها الشاعر الموحدي أبو العباس الجراوي (ت ٦٠٩ هـ)، والمسماة "صفوة الأدب وديوان العرب"، والتي وضعها على غرار حماسة أبي تمام المشهورة[٥٠]، ومن ذلك أيضا ترتيب ديوان المتنبي الذي أنجزه الشاعر السعدي عبد العزيز الفشتالي (ت ١٠٣١ هـ) بتكليف من الخليفة السعدي أحمد المنصور الذهبي[٥١].

١٢. استجلاب الكتب العربية المشرقية، حيث كانت هذه الكتب تستجلب من عدة مناطق كشمال إفريقيا والسودان ومصر والحجاز واليمن والعراق وغيرها، وكان العلماء المغاربة يتنافسون في تطعيم خزاناتهم الخاصة بها، كما كانت تشكل رصيدا معرفيا يغني رفوف المكتبات الرسمية.

كل هذا تضاف إليه مظاهر التفاعل الثقافي بين المشرق والمغرب في عصرنا الحاضر، والتي اتخذت أشكالا كثيرة بعضها تقليدي يسير في ركاب ما أوردناه آنفا مما كان معهودا من هذه الأشكال في فترات تاريخية قديمة، وبعضها مستحدث لا داعي لبسط القول فيه الآن تجنبا للإطالة.

ولعلنا في أعقاب هذا الجرد الموجز لمظاهر التفاعل بين الثقافتين المغربية والمشرقية، وانفتاح كل منهما على الأخرى، ننتهي إلى أن قوة الثقافة العربية رهينة بمثل هذا التفاعل، ومدعوة إلى ربط جسور التكامل بين عناصرها ومكوناتها، اعتبارا لما يفضي إليه هذا التكامل من بروز لهذه الثقافة على الساحة الدولية، وقدرة منها على مواجهة التحديات التي تسعى إلى تقويضها والنيل منها.

(٤٨) مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم د ١٥٧.
(٤٩) الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج ١، ص ١٧٤.
(٥٠) ذكريات مشاهير رجال المغرب، عدد ٦، ص ١١.
(٥١) روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، ص ١٦٢.

إن الثقافة العربية اليوم في حاجة ماسة إلى اعتبارها من لدن أهاليها، والحفاظ على خصوصياتها المميزة لها، وتطويرها بما يتناسب مع ثوابتها وأصالتها، وتلكم مسؤولية المجتمعات العربية قاطبة، ملقاة على عاتق كل فرد فيها، حتى يتسنى لهذه المجتمعات أن تتحرر من عقدة النقص التي تسيطر عليها أو تكاد، وتنتشل نفسها من لجة الاستلاب الغربي التي كادت تبتلعها، وتعود إلى إثبات قيمها ومثلها، في عصر كادت فيه هذه القيم أن تضمحل وتنهار، أمام تلاطم الماديات، واللهث وراء تحقيقها مهما ترتب عنها من وخيم العواقب، ونتج عن الجري خلفها من اعوجاج في توازن المجتمع البشري.

obeikandl.com

obeikandl.com

فهرس المصادر والمراجع

المذكورة في الهوامش

١ . الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام للعباس بن إبراهيم، تحقيق عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية بالرباط، عشرة أجزاء، ١٩٧٤ـ١٩٨٣ .

٢ . اغتيال العقل : محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية للدكتور برهان غليون، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧٨ .

٣ . تاريخ الأدب العربي لبروكلمان، ستة أجزاء، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار (١ـ٢ـ ٣ـ٦) والدكتور رمضان عبد التواب والدكتور السيد يعقوب بكر (٤ـ٥)، دار المعارف، مصر .

٤ . التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار، نشر عزت طاهر الحسيني، القاهرة، ١٩٥٥ .

٥ . الثقافة والشخصية، الشخصية ومحدداتها الثقافية للدكتور عاطف وصفي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١ .

٦ . الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين للدكتور محمد حجي، مطبعة فضالة،

جزآن، ١٩٧٧ .

٧ . الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية للدكتور محمد الأخضر، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٧٧ .

٨ . ديوان محمد بن محمد المرابط الدلائي مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم د ٣٦٤٤ .

٩ . ذكريات مشاهير رجال المغرب لعبد الله جنون، در الكتاب اللبناني، بيروت .

١٠ . روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس لأحمد المقري التلمساني، المطبعة الملكية بالرباط، ١٩٦٤ .

١١ . الشاعر الأمير أبو الربيع سليمان الموحدي: عصره، حياته وشعره للدكتور عباس الجراري، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، جمادى الثانية، ١٣٩٤ هـ يونيو ١٩٧٤ .

١٢ . في سبيل ثقافة عربية ذاتية، الثقافة العربية والتراث للدكتور عبد الله عبد الدايم، منشورات دار الآداب، بيروت، ١٩٨٣ .

١٣ . نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني لمحمد بن الطيب القادري، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، مطبوعات دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، وكذا مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء، أربعة أجزاء .